

دراسة مقارنة بين روايتي «تنگسير» و«اللص والكلاب»

عظيمة ريحاني اردبيلي*

تاريخ الوصول: ٩٢/١/٢١

سيد ابراهيم ديباجي**

تاريخ القبول: ٩٢/٨/٢٠

الملخص

صادق چوبک في إيران، ونجيب محفوظ في مصر، هما من رواد الكتابة الروائية واللذان لديهما حصة كبيرة في تطوّر وتقدّم كتابة القصة. روايتا «تنگسير» و«لصّ والكلاب» لمحفوظ، قامتا بعكس الحقائق الاجتماعية عن فترة من تاريخ البلدين، وقد كشفت لنا الروايتان عن النواحي الداخلية والخارجية في حياة الطبقة الدنيا من المجتمع. ومن المواضيع التي تمّت مناقشتها في الدراسة المقارنة للروايتين: آثار القهر والظلم والظلم وانعكاساتها على المجتمع مع التركيز على النضال الفردي وطلب العدالة من قبل البطل الذي نشأ في قلب ذلك المجتمع، الدور البارز نسبيًا للمرأة، دراسة الأساليب الواقعية والطبيعية لروايتين «تنگسير» و«اللص والكلاب».

الكلمات الدليلية: تنگسير، اللص والكلاب، صادق چوبک، نجيب محفوظ.

* طالبة الدكتورا في فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات بتهران.

reihanyr@yahoo.com

** عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات بتهران.

الكاتبة المسؤولة: عظيمة ريحاني اردبيلي

المقدمة

يمكننا القول بأن الأدب قد تأثر - كثيرا أو قليلا - فى إيران ومصر بكبار الروائيين الغربيين. وذلك نظرا للظروف الاجتماعية والسياسية السائدة والمشاركة بين البلدين. وقد تصدى الكتاب من البلدين للمضامين الاجتماعية المشتركة والتي يمكن أن ينظر إليها فى أعمال كبار الروائيين من الغرب.

تحاول روايتى «تنگسير» لصادق چوبک و«اللى والكلاب» لنجيب محفوظ وهما من الآثار الواقعية، أن تكشف جزءاً من الجوانب المظلمة لحياة الفرد والمجتمع فى إيران و مصر خلال العقدين الخامس والسادس من القرن العشرين الميلادى.

بذل الكاتبان جُهدهما ليصوّرا ويعرضا للسلبات الاجتماعية وما ترتب عليها من مصائر سيئة للأفراد. وبما أن البطل فى القصتين لا أمل له فى تحسين الظروف الاجتماعية وتحقيق العدالة والمساواة، فإنه قد اتخذ من إنفاذ القانون الشخصىّ منهاجا له كما سعى لتحرير نفسه والتي أصبحت ضحية من جرّاء هذا القهر والجور والظلم الاجتماعى وهذا هو المصير المحتوم للأفراد فى ظل الفساد المجتمعى.

ويسعى هذا المقال إلى تقديم وإظهار الأركان المشتركة بين الروائيتين. ويسير البحث فى إطار الأدب المقارن بوصفه جسرا بين العالم العربى وإيران، فضلا عن أن له دورا هاما عند التقاء الأدب بمختلف اللغات، وكذلك فى العلاقات المعقدة بين الماضى والحاضر، إلّا أن الدراسة المقارنة بين الروايات الإيرانية والعربية تمكننا من الاطلاع على جوانب المعرفة المجتمعية والثقافية والتاريخية المتشابهة عبر الفترات التاريخية المختلفة، وكذلك البحث فى مجالات علم الاجتماع لتشكيل السلوكيات الاجتماعية.

وعلى خلفية البحث فقد قدمت بحوث قيّمة فى تحليل روايتى «تنگسير» و«اللى والكلاب» كل على حده، ومن بين تلك الأعمال يمكن ذكر:

- نقد أعمال صادق چوبک: عبد/على دستغيب

- نقد اللى والكلاب: ماهر شفيق فريد

- النقد والتحليل لعدد من القصص المختارة لچوبک: حسن محمودى

ولكن بقدر ما لدى الكاتب من المناقشات والبحوث، إلا أنه لم تُكتب إلى الآن مقالة أو

دراسة مستقلة حول الدراسة المقارنة لهاتين الروائيتين.

نجيب محفوظ

هو المؤلف والكاتب المسرحي المصري، والحائز على جائزة نوبل في الأدب. ولد في القاهرة عام (١٩١١ م)، وأخذ من قصصه وسيلة لتنوير الأفكار و تحسين المجتمع مع اتسام رواياته بالرمزية والواقعية الفلسفية. كتب رواية «اللص والكلاب» في المرحلة الثالثة من مراحل كتاباته الأدبية.

أمضى طفولته في حي الجمالية حيث ولد، ثم انتقل إلى العباسية والحسين والغورية، وهي أحياء القاهرة القديمة التي أثارت اهتمامه في أعماله الأدبية وفي حياته الخاصة حصل على إجازة في الفلسفة عام ١٩٣٤؛ وأثناء إعداده لرسالة الماجستير دخل في صراع حاد بين متابعة دراسة الفلسفة وميله إلى الأدب الذي نمت في السنوات الأخيرة لتخصصه بعد قراءة العقاد وطه حسين.

نقل نجيب محفوظ في أعماله حياة الطبقة المتوسطة في أحياء القاهرة، فعبر عن همومها وأحلامها، وعكس قلقها وتوجساتها حيال القضايا المصرية. كما صور حياة الأسرة المصرية في علاقاتها الداخلية وامتداد هذه العلاقات في المجتمع.

صادق چوبك

ولد في بوشهر سنة (١٩١٦ م)، وأكمل تعليمه في بوشهر وشيراز و في الكلية الأمريكية بطهران. وكان من الرواد في الكتابة الروائية الحديثة. وسُمّي بالواقعي المتطرف وأحياناً بالطبيعي، وذلك لكثرة اهتمامه بالتفاصيل، ولتأملاته الباطنية.

ملخص رواية تنگسير

ادّخر زار محمد بعد اشتغاله طوال عشرين عاماً في منزل إفرنجي ألفى دولار. يذهب إلى إمام الجمعة لبوشهر بالنقود، فيدفع له بماله الذي ما ادخره حلالاً طيباً بعد ما اقتطع منه ثلاثمائة تومان من تلك النقود. ثم سافر للزيارة وعند عودته افتتح حانوت بيع الشعير في بوشهر بثلاثمائة تومان من الألف وثلاثمائة المتبقية معه. ومع إغراءات محمد كنده رجب يقوم زار محمد بدفع الألف تومان المتبقية معه إلى كريم حاج الحمزة ليضارب بها

ويقتسما الأرباح، ويؤجر كريم بيتاً كان قد أجره لأناس آخرين مع زار محمد مقابل تلك النقود.

تم عقد الاتفاق عند الشيخ أبو تراب على يد كاتب عدل لديع، وبعد بضعة أشهر أدرك زار محمد أن المنزل مؤجر لأشخاص آخرين أيضاً. يتوجه زار محمد لآقا على كچل المحامي ويطلب منه المساعدة في حل مشكلته، فطلب آقا على ستين تومانا كأجرة الوكيل لحلّ مشكلته، ولكنه لم يأبه بمشكلة محمد وقال له أن ستين تومانا لا تكفي، وطلب منه أربعين تومانا أخرى لكي يساعده في حل مشكلته. وافق زار محمد على أن يُعيد كريم حاج حمزه النقود على دفعات، ولكن اتضح له تواطؤ كريم حاج حمزه مع محمد گنده رجب والشيخ أبو تراب وآقا على كچل واستيلائهم على المال معاً. ولكن زار محمد رفض الخضوع لتلك المؤامرة وأصر على استعادة أمواله.

حينما أدرك أن ليس له ما يحزن من أجله وليس هناك من يساعده، قرر أن يفتك بالأربعة الذي تأمروا عليه لأكل ماله وينتقم منهم. ذهب محمد لوالد زوجته وتحدث معه حول قراره وأوصاه بأن يهتم بأسرته إذا ما قتل. تحدث محمد أيضاً مع زوجته شهرو حول ما فعل الأربعة الذين سلبوه ماله، فقالت له من لى ولأبنائك من بعدك، فأجابها بأنه قد قرر الانتقام من أجل أطفاله وأنه لا بد في النهاية من الانتقام من هؤلاء الظالمين.

ثم أخبر زوجته بأنه قد باع متجره بالميناء وباع البيت والماعز التي كانت له وأعطاهم سبعمائة تومان، خمسون منها كمهر لزوجته والباقي لتنفق منه على الأطفال. ويذهب محمد آملاً في أن تستمر حياته بعد القضاء على خصومه فيوصى زوجته أن تحمل بعض الملابس والأطعمة إلى الزورق عله يرجع بعد قتلهم فيذهب إلى ساحل المملكة العربية السعودية، أو قطر أو البحرين.

ذهب محمد إلى المدينة في الصباح الباكر وأخذ معه بندقيته وقال للعامل في صالون الحلاقة بأنه من حراس شركة النفط وقد قصد أبادان، وتوجه نحو متجر كريم حاج حمزة وطالبه بالمال ولكنه أنكر فقُتل. ويجتمع الناس حول جثمان كريم وهم يعلمون بأن زار محمد من ارتكب هذا الفعل. ويذهب إلى منزل الشيخ أبو تراب ويقتله أيضاً بعد مقتل كريم، وحينها تهاجمه أم الشيخ وأخته لمنعه من الهرب فيصيبهما أثناء فراره من بيت الشيخ، واجتمع الناس أمام بيت الشيخ عند سماع صوت إطلاق النار ويقول محمد الآن

ليس لدى مشكلة مع الشيخ. ويبدأ بالبحث عن الشخص التالي وهو محمد گنده رجب ويقتله أيضا، وفي النهاية آقا علي كچل هو المتأمر الرابع. من يعرف قصة زار محمد يتعاطف معه. وبعدها قتل رابعهم، قابل اثنين من الجنود الحكوميين المسلحين وقال لهما: إنه صار من أحد رجال الدوريات وهكذا نجا منهما ولم يشتبه فيه.

كانت شهرو قد حملت بعض الخبز والأغراض صباحا كما أوصاها زوجها وقد اختبأت في الزورق بعدما ذهب للانتقام. يأتي إليها ثلاثة رجال قبيل الظهيرة ويسألونها عن محمد فأخبرتهم بأنها لاتدرى أين مكانه.

وضع بيت محمد تحت حراسة الجنود المسلحين، في الوقت الذي كان فيه أهالي التنگسير يجلسون حول بيت شهرو، ويشاطرونها حزنها ويطمئنوها على زوجها حيث كانت قلقة على مستقبله ومصيره الذي ينتظره.

أما محمد فقد وصل إلى حانوت آساتور الأرمينية بعدما قتل الأربعة، ووافقت آساتور على اختبائه في متجرها. بقي محمد هناك حتى الليل وظل يفكر في ماضيه و انتقامه من الأربعة. خرج ليلاً من دكان آساتور وتعارك مع جندي، وفي النهاية نجا بنفسه ووصل إلى الميناء، ويلتقى هناك بجنديين آخرين ويفرّ منهما أيضا. ألقى محمد بنفسه في البحر وهاجمه سمك المنشار ولكنه يتغلب على السمك أيضاً، وأخيرا يصل إلى الشاطئ. كان النائب وجنوده المسلحون في انتظار محمد في منزله، وكذلك زوجته شهرو التي كانت تنتظر عودته ليصطحبها وطفليهما معه.

أتى محمد ورآه النائب يقترب من المنزل فأطلق النار عليه، وقع محمد أرضاً فأقبل إليه النائب، وحينما اقترب منه نهض محمد وقرعه بعقب بندقيته على رأسه ونزع سلاحه وسلاح جنوده.

أخذ محمد وشهرو ابنتهما وابنتهما وتوجها نحو الشاطئ، في حين لا يستطيع الجنود العزل فعل أي شيء أمام محمد الذي كان يحمل السلاح، وظلوا ينظرون إليه هو وأسرته وهم يتوجه للشاطئ حالهم كحال أهالي التنگسير وهو الذي انتقم من أعدائه وهرب من القانون، وذهب مع عائلته وتواروا في عرض البحر بزورقهم.

ملخص رواية اللص والكلاب

تبدأ الرواية في عيد الثورة عندما خرج سعيد مهران من السجن، وسعيد هذا اسم على غير مسمى، فهو ليس سعيدا على الإطلاق فحياته كلها آلام وضياع. منذ مات والده وهو يحمل على كتفيه أعباء السنين.

كان والد سعيد بواب عمارة الطلبة، وبعدما مات والده أصبح لزاما على سعيد وأمه أن يقوما باحتياجاتهما، وتجلت الشهامة في رؤوف علوان الطالب بكلية الحقوق والذي كان يتزعم منظمة سرية في ذلك الوقت، شعارها الحرية، والابتعاد عن الثراء وسكنى القصور ولذلك فقد كان محبوبا ومدعوما من الفقراء، فسعى أن يعمل سعيد ووالدته في خدمة العمارة بعدما رحل رب الأسرة.

وبدأ سعيد يتحمل المسؤولية في سن مبكرة، ثم مرضت أمه حيث داهمها نزيف حاد، فذهب بها سعيد مسرعا إلى أقرب مستشفى، تصور سعيد أن المستشفى يمكن أن تنقذها لأنها روح إنسان، لم يكن يعرف أن المستشفيات الكبرى ذات قاعات الاستقبال الفخمة والأطباء المعروفين والممرضات الأجنيات سوف ينظرون لأمه المريضة نظرة احتقار لأنها بسيطة رثة الثياب واضحة الفقر.

يومها بدأت بذور الغضب والفوضى تعرف طريقها إلى عقل سعيد عندما أخذ يرمى بالمقاعد، وأحدث دويًا بالمستشفى انتقاما لأمه فما لبث أن وجد نفسه مع أمه وحيدين في الشارع بعدما طردهم رجال الأمن. وعقب شهر من الحادث ماتت أمه، لكنها قبل أن تموت كان سعيد قد تعلم رذيلة جديده، فقد سرق لأول مرة طالبا ريفيا من نزلاء عمارة الطلبة، ودون تحقيق اتهمه الطالب وانهاه عليه ضربا حتى خلصه منه رؤوف علوان وقام رؤوف بالوساطة وانتهت القضية، واعتبر القضية شرعية وقال له لا تخف ويصدق بأنني اعتبر هذه السرقة مشروعة (محفوظ، ١٩٧٣: ١١٤)، ويقرب رؤوف سعيد منه حتى أصبح من مؤيديه وتابعيه، ويصبح اللص طالبا ثوريا بل ويعتبر السرقة من وجهة نظره حركة ثورية.

من بعد واقعة السرقة ترك سعيد عمارة الطلبة وذهب باحثا عن رزقه في مكان آخر، فعمل مهنياً في السيرك، والتقى نبوية التي كانت تعمل خادمة عند امرأة تركيه عجوز. أحبها سعيد وتزوجها، وأصبحت نبوية هي حياته وكان يستعين بها في عمله، فهي التي تقوم ببعض الرحلات الاستكشافية بقصور الأغنياء وبيوتهم حتى تتعرف على البيت جيدا

ثم يقوم هو بسرقة، فقد كانت تدخل البيوت وتسرق الخيانة في نفسها. وكان ذلك بحكم عملها كخادمة وغسالة.

لقد أصبح سعيد ذا قوه وبأس، وبين معارفه أصبح لماً معروفاً وله حاشيته التي من بينها شخص يدعى عيش سدره، والذي كان يلازمه كظله وكان يريد أن يتعلم منه ويصبح ذراع الأيمن. وفي سرقة لأحد البيوت تم القبض على سعيد مهران، ويعرف وهو في السجن أن القبض عليه تم بالاتفاق بين زوجته ومساعدته عيش. وحصلت نبوية على الطلاق من بحكم من المحكمة وتزوجت من عيش. لقد خانته زوجته وخانه تلميذه ولم يعد له إلا ابنته سناء، وأستاذة رؤوف علوان.

خرج سعيد من السجن وأصبح يتنفس نسيم الحرية مرة أخرى، ولكنه لم يجد أحداً في انتظاره. يخرج برغبة الانتقام، يذهب ليرى ابنته الأمل الباقي له، لكن ينكسر قلبه عندما تتنكر له الفتاة، فهي لا تعرفه بينما تتعلق بغريمه عيش وتتصور أنه هو والدها الحقيقي.

حاول علاج جرحه فذهب للشيخ على جنيدى طلباً للراحة النفسية والذي يحمل بين ثنيات لحيته البيضاء ذكريات طفولته وحنينه لوالده، حيث كان والد سعيد دائم الذهاب له لإقامة حلقات الذكر. ففضى سعيد أول ليلة في ضيافة الشيخ. ولم يعد أمامه إلا رؤوف علوان والذي أمسى صاحب جريدة مشهورة في البلد تسمى الزهرة، تدافع عن سياسة الحكومة الجديدة، وصار بفضلها صاحب مكانة اجتماعية، فطلب منه سعيد أن يشغله محرراً في جريدته، لكنه رفض وأمره أن يبحث عن عمل آخر يتناسب مع وضعه الاجتماعي، فخرج سعيد من بيت رؤوف تائها في شوارع المدينة وطرقاتها، فخرج من عند رؤوف وهو ينوي سرقة انتقاماً منه لأنه خان العهد وصار خادعاً للشعب وماكراً يزيّف الحقائق لكن محاولته باءت بالفشل. فلقد تخلص رؤوف من أفكاره بعد ما سرت في كيان سعيد، فهو الذي علمه أن الفتى في هذا الوطن يحتاج إلى المسدس أكثر من الخبز، ويحتاج إلى الكتاب، فالمسدس يتكفل بالماضي والكتاب بالمستقبل، وعمل سعيد بالنصيحة ولكنه اكتفى بالمسدس فقط.

كانت تجمع سعيد مهران صداقة حميمة مع المعلم طرزان صاحب إحدى المقاهي، فأخبره سعيد بما وقع له من أحداث، وطلب منه أن يساعده بمسدس لينتقم من الخونة،

وقد كان الحظ في صفه هذه المرة عندما التقى بنور بائعة الهوى التي أحبته لكنه فضل زوجته عليها. فبالرغم من كونها فتاة ليل إلا أنها تعرف الوفاء لقد جاءت من مجتمع الرذيلة لتصبح نوراً في حياته فأصبح بيتها هو المأوى له وساعدته نور على سرقة نقود وسيارة أحد رواد الدعارة.

وقد قضى سعيد أياما مع نور في شقتها المهترئة من شدة الفقر، ومنها كان يخطط لمحاولاته الانتقامية من عليش ورؤوف، غير أن هذه المحاولات ما كانت لتصيب إلا الأبرياء الذين لا علاقة لهم بالصراع. حيث توجه إلى منزل عليش ونبوية والناس نيام واستطاع أن يغتال رجلا بعدما صوب مسدسه إليه، وكانت المفاجأة عندما علم بأنه قتل رجلاً بريئاً، فقد غادر عليش ونبوية في الليلة نفسها إلى مسكن آخر. وسكتت الجرائد كلها إلا جريدة الزهرة التي ركزت عليه وعرضت لتاريخه الإجرامى.

فلقد أصبح سعيد يشكل خطراً جسيماً على رؤوف فما كان من الثانى إلا محاربته عن طريق إثارة الرأى العام ضده وبالفعل فكر سعيد فى الانتقام من رؤوف، فقام بارتداء زى عسكرى حتى يؤمن خروجه به، فيقبع عند قصر رؤوف لينتهاز فرصة خروجه ويطلق عليه الرصاص وبالفعل ذهب وفعل ثم عاد إلى بيت نور، وعلم سعيد من الصحف أنه لم يتخلص من رؤوف وأن الذى مات هو البواب البرىء.

فى هذه الأثناء تختفى نور من حياة سعيد بعد ما أدرك أنه كان يحبها، ويغادر منزلها إلى منزل الشيخ/الجنيدى لكنه يتذكر أنه قد نسى زيه العسكرى فى منزل نور، ولكن القدر لم يمهلها أن يفكر، فلقد تم العثور على البدلة واستدل عليه وحوصر من قبل الشرطة بفضل الكلاب التى تتبعته إلى المقبرة التى اختبأ بها حيث كانت نهايته بعد مقاومة يائسة.

دراسة المضمون والفحوى لتنكيسير واللص والكلاب

١- من خلال دراسة التاريخ نجد أن مصائر بعض الدول تتشابه مع بعضها كثيراً، وبالملاحظة نجدها تتشابه أيضاً فى قضاياها الاجتماعية. فمكافحة الظلم والشر كانت ومازالت جزءاً لا يتجزأ من فطرة الإنسان منذ قديم الأزل، ومن ثمَّ فقد كانت الحاجة إلى أبطال لمكافحة ذلك الظلم والجور مطلباً ملحا للبشرية.

لروايتي «تنگسير» و«الّص والكلاب» أوجه تشابه كثيرة من حيث الموضوع وفحوى الرواية، وكيفية جريان أحداثهما، ومع ذلك فإنهما تختلفان في أوجه أخرى، فالبطولة والنضال جزئان لا يتجزئان من صلب الروايتين والأبطال من جنس البشر ونراهم بيننا وفيمن حولنا. فالبطلان أحدهما زار محمد والذي أصبح في وقت لاحق شير محمد، والآخر سعيد مهران. ورغم أن كونهما من جنس ونوع واحد، إلا أنهما يختلفان اختلافا كبيرا بالنسبة للمكان والشخصية والتربية.

٢ - تمكنا دراسة «تنگسير» و«الّص والكلاب» من إدراك الكثير من الآثار الخالدة لكل من صادق چوبك ونجيب محفوظ في الشكل وقالب الكتابة والمضمون والفحوى. واستنادا إلى ذلك فإن الباحث يحاول أن يعالج القصتين بالنظر إلى المضمون والمحتوى، ما يمثل فتح الباب لمزيد من المعرفة وإيضاح بعض الأوجه المخفية لكل من هذين الأثرين الخالدين للأدب القصصي من إيران ومصر.

٣ - كون الروايتين وأبطالهما حقيقة فإن ذلك يعد واحدا من النقاط المثيرة للاهتمام في الأثرين، والذي يمكن إدراجها على أنها من أهمّ العوامل في كتابة الروايتين. كتب صادق چوبك رواية «تنگسير» مع لمحة إلى أصل الحادث وكذلك قصة قصيرة بعنوان «شير محمد» لرسول برويزي. عالجت «شير محمد» قصة حياة رجل قروي لتنگستان والذي سلبت نقوده على يد عدد من المحتالين وهم صراف نقود وسمسار ومحام، وعندما فطن الرجل لذلك، قام بالسعي للإنتقام فقتلهم جميعا واختبأ في بيت تيكران الأرميني.

يقفز في البحر ليلا ليتوارى عن الأنظار، وبعد ذلك أصبح يدعى «شير محمد» وأصبح الناس يتناقلون قصة شجاعته. وبالرغم من أن چوبك كان طفلا وقتها ولكونه مواطنا بوشهري فقد كان شاهدا على ما جرى، وساعده على ذلك ذاكرته القوية وعقله الخلاق والذان كانا يعتبران رأس ماله في الكتابة وأخرجنا لنا من جوفه رواية «تنگسير».

وعلى الجانب الآخر لدينا نجيب محفوظ، فبفضل عقله الخلاق وقلمه الديناميكي فقد ألف رواية «الّص والكلاب» وكتب حادثة حقيقية، وقد كتب الرواية في الوقت الذي كانت فيه أنظار المصريين تتركز على الأحداث المحليّة التي كانت تدور في عام ١٩٦٠م (ياغي، ١٩٩٩: ١٩٧).

هذه القصة هي ماجرى للصوص شهير يدعى محمود/أمين سليمان والذي ظلت تتعقبته الشرطة لعدة أشهر ولكن دون جدوى، فلاذ بجبل في الصحراء واختتم حياته هناك برصاصة. هذا ما أدى إلى أن تخطر فكرة رواية «الصوص والكلاب»/نجيب محفوظ بعد عدة شهور من الحادث(حس، ١٩٩٧: ٤٣).

هروب اللص والذي جعله أسطورة شعبية، هو ما استرعى انتباه محفوظ وأعانه على خلق شخصية روايته الرئيسية.

من هنا ندرك براعة الكاتبين في كيفية اختلاق وتوظيف شخصيات أبطال الروايتين. ٤ - بالتأمل في الروايتين نجد أن براعة الكاتبين أسهمت في تشكيل شخصيتي كلا البطلين على أفضل وجه وبشكل ناجح، الأمر الذي أضفى على الروايتين جمالا وعمقا في المعاني ومجريات الأحداث. ولم تكن الشخصيات في «الصوص والكلاب» راضية عن دورها في الحياة، بل كانت تتطلب إمكانيات ومساحة أكبر في الحياة من الأمن والهدوء. وقد تفوق جوبك على محفوظ في معالجة المواقف وهو من الأمور المتشابهة بين الروايتين.

٥- معالجة العلل والمعلولات وسير الأحداث تُعدّ ميزة أخرى لهاتين الروايتين. وكما رأينا فقد سلك البطلان زار محمد و سعيد مهران طريقيهما رغبة وطواعية وهما على علم بنهايته، وهذا من إحدى التشابهات الواضحة بين بطلي «تنگسير» و«الصوص والكلاب». البطلان اللذان لايفكران إلا في محاربة الظلم والانتقام لأنهما لا سبيل لهما بالقانون والعدالة في الحصول على حقوقهما. تمرد زار محمد الذي قام به لابداء تظلمه ازداد تصعيده شيئا فشيئا حتى وصل إلى ذروته لدرجة أنه تحول إلى اسطورة، وأصبح يعرف باسم شير محمد بدلا من زار محمد والذي أصبح اسمه يرعش هدام كل ظالم ومتحكّم في ذلك البلد(رك:پايگاه مجلات تخصصي نور). في حين لجأ زار محمد وسعيد مهران بجانب التظلم إلى أعمال تعتبر نقطة ضعف للإنسان العادي.

٦- من السار أن نعلم بأنّ هذه التدايعات والاحتجاجات قد وقعت معظمها في طبقات المجتمع السفلى، وهم طبقة المهمشين في المجتمع وهذا يدل على أهمية هذه الفئة في المجتمع. وهذا ما وجدناه في «تنگسير» حيث أن زار محمد كان يعيش على هامش المجتمع كما هو الحال أيضا في «الصوص والكلاب» حيث كان سعيد مهران أيضا من الطبقة الدنيا، والتي كان يصارع الفقر فيها الأمر الذي لم يمكنه من أن يعالج أمه المريضة

لأنه لم يسمح له بدخول المستشفى بسبب ماله من مظهر الفقراء، وما ترتب على ذلك من ارتكاب سعيد لجريمة السرقة للمرة الأولى حيث كان ذلك احتكاكه الأول بالمجتمع. إضافة إلى ذلك تبرير رؤوف لسعيد سرقة من منطلق أنه من العدالة أن ما سرق لا يرد إلا بالسرقة (محفوظ، ١٩٧٣: ٤٩) وبذلك يواصل سعيد السرقة وتتحول إلى أسلوب نضال له.

٧- الصراع بين الفرد والمجتمع في كلا الروايتين واضح للعيان، فانهيال الكوارث واحدة تلو الأخرى في «اللص والكلاب» على سعيد ابتداء من المؤامرة عليه حتى دخوله السجن، وخيانة زوجته له، وعليش سدره، و كذلك رؤوف علوان، والمقابلة المجحفة من ابنته سناء له بعد خروجه من السجن وتنكرها له ونفيها أن يكون سعيد أباه، كل ذلك أجج حافز الانتقام في وجود سعيد مهران.

أيضا في «تنگسير» محمد گنده رجب، كريم حاج حمزه، شيخ ابوتراب، وآقا على كچل الذين سلبوا زار محمد نقوده ورفضوا إعادة المال، أضرمت ذلك باعث الانتقام فيه.

من ناحية أخرى فإن روايتي «تنگسير» و«اللص والكلاب» هما حكايتان ترويان سوء حظ شعب أصبح أسيرا لعدم المساواة. فكلا الكاتبين بحث بعناية سلوك الطبقات السفلى والذي اتسم بالعنف، الذي نشاهده من خلال شخصيات وحوادث تعكس كل أوجه هذا السلوك. وعلى الرغم من أن المهمش مجتمعا هو المظلوم فإنه يعد مذنبا وكلمما يسعى لتحقيق العدالة بإنفاذ قانونه الشخصي، يرتكب جرما وخطأ اكبر.

وبالتالي فإنه يمكننا القول بأن هاتين الروايتين - في زمانهما - تمثلان طريقة تفكير لشعبي إيران ومصر في ذلك العصر ولديهما معالجة مجتمعية بشكل ما.

وفي مقام الدراسة المقارنة للمضمون والأسلوب بين القصتين من الممكن أن نشير إلى هذه المواضيع:

- الأسلوب الواقعي
- الطبيعية
- الرمزية
- النضال الشخصي ودور المرأة، هذا ما سنعالجه فيما يلي بمزيد من التفصيل.

الواقعية والمذهب الطبيعي

كانت الواقعية كحركة أدبية هي الشكل السائد لكتابة القصة من أوائل القرن التاسع عشر، وحتى الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤، والتي تزامنت مع ظهور الحداثة حيث بدأت تنقص الحركة الواقعية ولكنها استمرت كمنمط من أنماط الكتابة الروائية، ولا تزال توجد حتى الآن. وقد أكد الواقعيون على المشاهدة الحسية والتعبير بغض النظر عن المشاعر الشخصية. فالروائي الواقعي يصور الحقيقة نفسها فيه ويجعلها متناول القارئ دون أى تلاعب.

المذهب الطبيعي أو ناتوراليسم، هو مدرسة أدبية تؤمن بمحاكاة الطبيعة، وأرجأت السجاي الأخلاقية لأفراد المجتمع إلى الحالة الجسدية، والحيوية، والوراثية، والبيئية لهم (انورى، ١٣٨٢: ٢٣٧٤). ويحسب البعض بأن المذهب الطبيعي نمط خرج من جوف الواقعية ومن داخل شكلها المدقع. ووفقاً لأنصار الطبيعة يجب للمؤلف أن ينظر بنظرات ثاقبة إلى كم وكيفية الحياة وأن يجرب تجارب عالم طبيعي. وقد فسّر أنصار الطبيعة كل شىء جزئياً وبالتفصيل (باينده، ١٣٨٩: ٢٧).

تعدّ «تنگسير» و«اللس والكلاب» في زمرة الروايات الواقعية والطبيعية، حيث أن أدب نجيب محفوظ يتراوح بين وصف الواقع الطبيعي والواقع الاجتماعي. فقد توجه محفوظ للمجتمع المصري والحقائق والقضايا اليومية بعد إستلهامه من التاريخ و معاينة الجوانب المريرة والمؤلمة للجماهير المحرومة من المجتمع.

ويقول نجيب نفسه: الالتفات إلى التاريخ اختفى فجأة، مع أنني كنت على استعداد في ذلك الوقت لكتابة ما يقرب من ٣٠ رواية، ولكن هذا الفصل ليس سوى الفصل المادى ولن تقطع الأفكار التي كانت وراء الروايات التاريخية (محفوظ، ٢٠٠٦: ٦٠)؛ وأكد في مكان آخر حول هذه المسألة قائلاً: بعد أن أدركت بأنه قد يكون للرواية دور فعّال في استعراض وتحليل قضايا المجتمع، اتجهت إلى الرواية الواقعية (حسنين، ٢٠٠٧: ٤٨).

وتتضح لنا المصادر الواقعية في رواية «اللس والكلاب» كما يتضح أيضاً في هذا الأثر لمحفوظ الالتزام بقواعد مثل التصوير المباشر للواقع، والنزول بدور الكاتب إلى مستوى المتفرّج، التصوير المباشر للمساوي وإتاحة المجال للغرائز والعادات والحالات المرضية، الاعتقاد في انصياع الإنسان للأهواء والبيئة الطبيعية والوراثية، استبدال الأسباب والنتائج

الحيوية بالأسباب والنتائج النفسية والاجتماعية مع التركيز على جوانب المجتمع الخفية وحياء المرؤوسين، الاعتقاد بثبات الطبيعة البشرية وإدانة إرادة الشعب أمام حتمية المصير(رك:پايگاه مجلات تخصصی نور)

يمكن لنا أن نشاهد أمثلة انصياع الإنسان لأيدى المصير القويّة وعدم الوصول إلى النتيجة المرجوة من ذلك الانصياع الأعمى، فى عصر نجيب، ولم تكن رواية «اللص والكلاب» محل تقدير من الناس. قام بطل القصة بعد السجن الطويل بالبحث عن عيش سدره، ونبوية ورؤوف علوان للانتقام منهم جميعا ولكن رصاصاته كانت دائما تصيب الأبرياء وتقتلهم خطأ بدلا من المجرمين.

وفقا لذلك يمكن أن تعتبر نظرة نجيب للواقع الإنسانى والاجتماعى نظرة طبيعية. فقد عرض موضوع محورى فى الرواية، وهو إفساح المجال للأطماع الغريزية وانتهاك دائرة المحرمات الأخلاقية للأسرة والمجتمع. «اللص والكلاب» هى قصة حزينة من نفس النوع تلمس معاناة الناس للهروب من ظلال المصيرالقائمة. وهناك عرض واقعى من نوع فريد وهو السرقة، البطالة، التشرد، الاضطرابات النفسية والعنف والفقر الذى يُصوّر فى القصة بوضوح.

ومن إحدى النقاط التى يجدر بنا الإشارة إليها فى كلا الروايتين من وجهة النظر الطبيعية والواقعية، هى أنه عدم رؤية أى تغيير وتطور ملحوظ للشخصيات فى كلا. فعلى سبيل المثال، سعيد مهران لا يمكن تغييره على جديا أبدا وكذلك زار محمد فى «تنگسير»، وهذا صحيح أيضا فى شأن الشخصيات الثانويّة للرواية.

أثبت التركيز فى «تنگسير» على الإنسان فى المجتمع والبيئة، كمثل على الأدب الطبيعى. لهذا السبب وصف البيئة له أهمية كبيرة بين الأعمال الطبيعية(افشار، ١٣٧٦: ٥٩) وذكر الطبيعىون بشكل واضح فى أعمالهم أثر البيئة على الإنسان، باعتباره واحدا من العوامل الثلاثة العلميّة وهى الوراثة، والبيئة، والزمن. وبوصفه مبدأ علميا مسلما به، والذى سيطر على الإنسان رغما عنه(رادفر، ١٣٨٥: ٤٨)، ومن الطريف أن نعلم أنه يقلّد الطبيعة الواقعية.

وعلى الرغم من التزام صادق چوبك للغاية بالطبيعة والذى كان ذكر اسمه يستحضر هذه المدرسة دائما، فإن فبطل قصته - زار محمد - فى «تنگسير» هو أثر واقعى جدا بل

هو نوع من الواقعية المثالية، مع التمرد على الاختناقات والتحفظات الاجتماعية، ويختار مصيره بنفسه. نقلا عن عابدينى: «فى هذا الأثر يتحدث جوبك عن الصمود تمشياً مع إنتفاضة سنة ٤٢» (عابدينى، ١٣٦٨: ٤٤). مغامرة رواية «تنگسير» هى واقع قاس وعريانة التى شاهدته.

ويعتقد عابدينى أن جوبك قد أضفى أملاً وحنينا فى «تنگسير» صادق جوبك الذى يبحث عن الحياة والثقافة المتعلقة بأبناء الشعب فى وجود شير محمد والذين كانوا يحاربون الإنجليز مع الرئيس على الدلوارى.

وقد كان هناك رمز لتدمير الرجولة فى التهجير وهروب شير محمد أمام ذهول أهالى تنگستان. تمرد قام به شير محمد ضد مجتمع منحل، مجتمع أمثلته النموذجية هم أربعة محتالين سيطروا عليه (همان: ٤٧).

هذا هو فن جوبك العظيم والذى قام بعمل مزج إيجابى بين الطبيعية والواقعية مع تجنّبه فى بعض الأحيان التطرف والخروج على الخصائص الأساسية، وأن يقتصر عمله على بعض الأعمال العدائية التى يمكن المقارنة بينها وبين الحقائق المجتمعية الملموسة. غير أنه فى كثير من الأحيان وإلى جانب العديد من الروايات الواقعية وبالتوازي معها، لم يغفل الإمكانيات الطبيعية ووظيفها بما يتناسب مع الحالة والموضوع. تجدر الإشارة إلى أن موضوع الآثار الطبيعية قامت بتناول الطبقات المتوسطة والفقيرة من المجتمع والمواطنين العاديين ومختلف جوانب الحياة للعمال، والحرفيين والمؤمسات والمتشردين.

إن المذهب الطبيعى فى الواقع يتميز باهتمامه بأحوال الأشخاص الذين لم تكن لهم أهمية كبيرة فى الأعمال الفنية آنذاك. وقامت الروايات الطبيعىة فى كثير من الأحيان بتقديم الشخص البسيط جدا فى موقع الفشل (فخرى، ١٣٨٠: ١)، وقد اتضحت لنا هذه النقطة فى «اللس والكلاب» أيضا سواءً حينما تنكرت له ابنته ونفت أبوته عنها أو عندما أحاطت به الكلاب والضباط ولم يكن لديه خيار سوى الاستسلام.

النضال الفردي

مفهوم العدالة في العلوم الإنسانية هو أحد المفاهيم الأساسية. ومنذ فترة طويلة والعدالة هي القضية الشاغلة لكثير من الناس، ودائماً ما كان الإنسان يسعى باستمرار لتحقيق وإقامة الحق والعدالة ويلزمه لتحقيق ذلك أن يسلك طريق الحق.

فالتفكك العقلي والافتقار إلى التواصل مع أصول الروحية وخلو حياته من الحب والإيمان والأمل والكرم، يجعله مخلوقاً مادياً كالأداة بغرائزه الحيوية. فالعدالة الإنسانية المفقودة في الماضي والحاضر هي الطريقة الوحيدة للتخلص من الشقاء المادي، والفساد الأخلاقي، والتفكك الفكري والفراغ المفهومي.

سعيد مهران وزار محمد هما ضحيتين بشريتين لعدم تحقيق العدالة في الماضي والحاضر، وهذا من شأنه أن يجعل الماضي والحاضر متماثلين. فعدم تحقيق العدالة الإنسانية أو مجرد تحقيقها بشكل سطحي يؤدي إلى تخلف الحضارة الإنسانية. ومع التأمل في روايتي «اللص والكلاب» و«تنگسير» نرى مفهوم طلب العدالة في مختلف جوانبه. يصور چوبك زار محمد شخصاً لا أمل له في تنفيذ القانون والعدالة لاسترداد حقه من كريم حاج حمزه، ويستحق حواراً مع المساعد في صالون الحلاقة قبل القيام بقتل أولئك الأربعة القراء.

يقول المجلد محمد/ في رأيه أنه ليس سيئاً إذا كتبت شكوى إلى أحمد شاه لترسلها إلى طهران. ففي النهاية هو ملك البلد، صدق بأنه لم يكن يعرف أحمد شاه بأن مدينة بوشهر لإيران أم للمملكة العربية السعودية؟ (چوبك، ١٣٨٢: ٤٤).

ظهرت في «تنگسير» مفاهيم في شكل تطلعات مثل مواجهة الظلم والفقر ومحاولة إعطاء الهوية والحريّة للإنسان، وهذه التطلعات في «تنگسير»/چوبك هي أكثر حسيّة من العقلية، بمعنى أنّها ترتبط بالمشاكل السياسية والاجتماعية لمجتمع إيران ارتباطاً أكثر من تخيلات العقول الحاملة. الاعتقاد في الكفاح ضد الظلم الاجتماعي و طلب العدالة وضع چوبك في مقدمة الحداثة، وحتى هذا الواقع النقدي أصبح واقعياً ثورياً ومثالياً في «تنگسير» (چوبك، ١٣٥٢: ١٦)، وينصّ چوبك على موقفه حول مفاهيم الحرية والعدالة بوضوح: لقد حاربتُ ضد الظلم والجور طيلة حياتي وكتبت في مدح الحرية، الحرية هي جوهرة لي (دهباشي، ١٣٨٠: ١٠٨).

رواية « تنگسیر » هي أول رواية كتبها چوبک والتي مضمونها النضال العفوي ضد القهر والظلم لرجل من تنگستان في جنوب الوطن. حدثت الرواية التي وقعت في بوشهر (الانتماء للوطن والكفاح ضد الدخلاء الأجانب) منذ بدء الاشتباكات في تنگستان. «تنگسیر» هي مراثاة على تدمير قيم الماضي النبيلة. وأثارت الحزن لفقدان القيم لدى القارئ(عابدينى، ١٣٧٤: ٤٤).

وبعد تأمل يسير في «اللص والكلاب» ندرك أن هذه الرواية مع كل ما تحمله من المثاليات فإنها ترتبط بالواقع الاجتماعى في عصرها من جهتين: الأولى نضال قد دار الكلام فيه حول رفض الظلم وإحقاق الحق، والثانية التركيز على الكفاح الفردى في ظروف القمع للحركات الإحتجاجية من أجل تحقيق العدالة(عباديان، ١٣٧١: ٩٢). والشىء الإيجابى الذى يمكن اكتسابه هو خلق الأمل والقوة في قلوب الشعوب المضطهدة والمعرضة للهجوم والذين ليس لهم مغيث عادل في الأهمم ومخنهم، وأيضاً إنذار للظالمين بأنّ المظلومين قد يقوموا بأى عمل لحفظ واسترداد حقوقهم.

في هذه الرواية عندما وجد سعيد نفسه مطاردا للكلاب، لم يكن يقتصر هدفه على الانتقام الشخصى. على الرغم من أنه كان يحارب خيانة شخصية من قبل نبوية وعليش، لكنّه أصبح يحارب كل ماتعرض له من خيانات كجبهة واحدة(الشطى، ٢٠٠٤: ٢٢٧). في هذه الرواية نجد أن الغضب، والحب، والكرهية، والإنتقام في طبقاتها هي من النوع الذى يؤدى في النهاية إلى أن يتخيّل القارئ بأنّه أحد الشخصيات الرئيسية وهذا ما يبدو أيضا في «تنگسیر» بوضوح.

المرأة

من وجهة نظر محفوظ فإن المرأة هي عنصر معقد وذو أبعاد مختلفة. فقد نأى عن إثارة قضايا المجتمع في مجرى حياته الأدبية، واقترب لمجال الفلسفة فقد اعتنى بالجوانب الدرامية للمواقف والشخصيات والتي لها أبعاد نفسية وإنسانية، حيث أنه يريد من خلال فلسفته معالجة الشذوذ وفساد هذه الطبقة من النساء، وأن يتسلل إلى العامل المسبب لهذا الانحراف في هذه الفئة. وفي ذلك يقدم نجيب في هذه الرواية نموذجين للمرأة: نبوية زوجة سعيد مهراّن ونور فتاة الليل. ذهب نجيب محفوظ إلى أنّ المجتمع

المضطرب هو سبب الشذوذ الخلقى للنساء الفاسدات فى رواياته، حيث أن معظمهن يقترفن هذا الذنب بسبب الفقر والبؤس. ويقول فى هذا السياق (محفوظ: ١٧٢)، العاهرات كثير فى رواياتى ويكون انحرافهن متعلق بأسباب اجتماعية. معظمهن يرتكبن هذا الإثم بسبب فقرهن وبسبب المجتمع.

نبوية سليمان فتاة يتيمة قضت حياتها كخادم بعدما سُجن زوجها، فخانتها وانتهكت حبها إلى زوجها وتزوجت من صديق زوجها عليش. فهى لا تحب أن تنشأ ابنتها الصغيرة يتيمة مثلها، لذلك تحملت أذعنت بالزواج من عليش سدره. وكما يبدو يريد نجيب أن يقول: ليس هناك فى المجتمع مركز لدعم هؤلاء النساء وترتبط الخيانة بالفساد الاجتماعى وذلك لعدم اهتمام الحكومة بالرعاية الاجتماعية (بادرستانى، ١٣٩٠: ٢٠٩)، ولكن نور الشخصية الفاحشة فى رواية «اللص والكلاب» هى فتاة خادمة نمت فى الفقر المدقع، اضطرت لممارسة الدعارة لقضاء حوائجها وقامت بتغيير اسمها، تعيش فى مكان بعيد يطلّ على المقابر. وعلى الرغم من شذوذها الخلقى إلا أنها امرأة سخية رحيمة وكانت هى الضوء الوحيد لحياة سعيد مهران اليائسة. شخصية نور هى على النقيض من شخصية نبوية، ويصوّر نجيب الفرق بين النساء فى المجتمع من خلالهما ويذكر عدم وجود الدعم الحكومى لهذه الطبقة.

وأما المرأة فى «تنگسير»/چوبك، فيمكن أن ينظر إلى أثر المرأة فى معظم روايات چوبك. أول امرأة يأتى الحديث عنها فى هذه الرواية هى سكينه وهى امرأة طويلة، سوداء الشياب، ربطت منديلا من الحرير اليزدى الأزرق على رأسها ولها وجه متضايق وشاحب، وقد وشمّت على جبهتها و بين حاجبيها وتحت شفيتها بالشامة الزرقاء، ولاتزال شابة (چوبك، ١٣٨٢: ٣٨). سكينه هى أرملة فقدت زوجها فى العام الماضى، قدّم فى بداية الرواية بأنّها قد هاج ثورها وفر، وذهب زار محمد للبحث عنه وترويضه، وعلى حدّ تعبير زار محمد فقد كان الثور يملأ فراغ غياب زوج سكينه، وهو المعيل لبيتها. سكينه هى امرأة مستقلة من بعد وفاة زوجها تعتمد على نفسها، وتُدبر حياتها وحياة أسرتها دون الاعتماد على أحد.

المرأة الثانية التى تمّ الحديث عنها فى هذه الرواية الكبيرة، هى امرأة بكت بلحن حزين على قبر زوجها الفقيد وهى على عكس سكينه فهى امرأة كانت تعتبر زوجها كل

حياتها والآن وبعد أن تركها دون متّكأ وليس لها ظهير ومأوى، خافت من مستقبلها ولم تتجرأ على مواجهته. ثالث امرأة في «تنگسير» هي شهرو زوجة زار محمد، امرأة شابة تحب زوجها وحياتها ويمكن القول بأنّها ترمز للمرأة المطيعة الوفيّة، والتي لم تمنع زوجها في قراره على الرغم من علمها بأن الطريق التي اختار زوجها لا تؤدّي إلّا للتعاسة والبؤس والتشريد لهم. «مهما فعلت، فلن أعارضك، وكن مطمئنا علينا، سوف أحميهم حتى آخر نفس، ولن أسمح بأن يسمعوا صوت رجل آخر في بيتي» (چوبك، ١٣٨٢: ٧٠).

بالإضافة إلى حبّها وولاء لزوجها، فهي امرأة شجاعة وكاتمة للسر ولا تجزع رغم أن أثقل قلبها حزن كبير جدا كالجبل، وتبث أحزانها في أذن الماعز التي في الحظيرة. لديها ثقة كبيرة بنفسها وتقوم بكل ما طلبه زوجها منها لأنّه وكما تثق بزوجها، فقد أرغمها حبّ العيش معه على أن تعرض نفسها للخطر. مع ذلك فإنّ شهرو تعد من بين نساء رواية چوبك التي لديها شخصية خاصة. فعلى الرغم من شدة تعلقها بزوجها، لكنها عندما توضع في موقف لا مفرّ منه فإنّها تبدو وكشخصيّة مستقلّة بنفسها، فقد أظهرت قوتها ضدّ الجنود المسلّحين الذين حاصروا بيتها وتربّصوا بمحمد.

فلا يكاد يكون للنساء في رواية چوبك استقلال في تصرفهنّ كهذه المرأة. فهي بالإضافة إلى قيامها بمهامها على نحو جيد كأم وكزوجة، فإنّها تمثل الدعم العاطفي لزوجها. إنفاذها وإنقاذ أطفالهما هو الذي جعل زار محمد مصرا على الانتقام من جهة، والعودة نحو إليهم من جهة أخرى، حتّى فروا جميعا من هذا المجتمع المظلم معا (عسگری، ١٣٨٧: ١٦٤).

في الواقع يمكن القول إنّ الكاتب يريد أن يثبت أنّ بعض النساء مثل شهرو، على الرغم من هدوئها ووفائها ومحافظتها، إلا أنّها يمكن أن تظهر وجوهاً أخرى بين عشية وضحاها، لتصبح شخصيّة نضالية أو مؤيّدّة للمقاتلين. وفي الواقع فإنّ هذه المرأة لا تتغير فهي لها عقيدة راسخة في حقها في الاحتجاج وحماية الحق والعدالة.

في مكان آخر من القصة سيتم تقديم صورة لامرأتين، إحدهن شابة والأخرى مسنة، كانتا صامدتان حتى النفس الأخير أمام زار محمد الذي أتى منزلهم لقتل الشيخ ابو تراب. وصفهما محمد من وجهة نظره بأنهما كانتا قويتان وكان يعرف محمد بأنّ الإمرأتين من دشتستان يشبهان الشيخ (چوبك، ١٣٨٢: ١٤٩).

الرمزية (سمبوليسم)

لقد كان الأدب ولفترة طويلة في مختلف الدول يحتوي على رموز متنوّعة. فلقد استخدم نجيب محفوظ وعلى مدار عشر سنوات الكتابة الروائية الواقعية المعاصرة، ثم بدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من الكتابة الروائية والتي يمكن أن يطلق عليها المرحلة التالية من الواقعية، وفي هذه المرحلة توجه إلى الرمزية فأظهر أفكاره وعواطفه بتلميحات غير مباشرة وفي اعتقاده أنه لكل شيء معنى رمزي. وكثيراً ما كان ذلك هو الدافع الرئيسي له في كتابة مثل هذه الروايات الرمزية هو طبيعة الشروط الخاصة في مصر. هناك توجه إلى الرواية الرمزية والتي يمكن أن يطلق عليها صوته الفلسفية (عطيه، ١٩٧٧: ١٠٤). هذا الميل للرمزية لايعنى الدخول في العالم المجرد المنفصل عن الحقيقة، ولكنه تعبير عن المفاهيم الحقيقية تحت غطاء من المواقف الأسطورية والرمزية (الشطى، ٢٠٠٤: ١٨٤).

أسلوب الكتابة الرمزية وماوراء الطبيعة ظهر من ظهور السلطة والشدة ابتداء من رواية «أولاد حارتنا» ووصولاً إلى «اللص والكلاب» مع التزام محفوظ تجاه الجمهور والمجتمع ما جعل المجتمع وقضاياها هما التوجه الرئيسي لعديد من الرموز. فعلى سبيل المثال رواية «اللص والكلاب» هي رمز للمواجهة والصراع القائم بين الفرد ومجتمعه. واحياناً نرى هناك تضاد بين بعض الأسماء و مسمياتها كما هو الأمر بالنسبة لسعيد مهران فإنه لم يكن سعيداً بل يعاني من مشاكل كثيرة. فنجد أن نور مثلاً في هذه الرواية تدل على الضياء في حياة سعيد بعد خروجه من محبسه. وسناء ابنة سعيد والتي تعتبر رمزاً للضوء في قلب سعيد، ورؤوف علوان وكريم حاج حمزة وهما رمزي الخيانة العظمى والنظام الاشتراكي. و في رأى نجيب محفوظ أصبح رؤوف علوان رمزاً للخيانة يشمل عيش سدره ونبوية وجميع خونة الأرض، وذلك لأن رؤوف علوان والذي كان قديماً ممثلاً للحرية والشعب وكان يناضل مع سعيد في الماضي أصبح يعيش الآن في قصر.

وجد سعيد مهران بأن القتل هو السبيل الوحيد للانتقام من الكلاب و لجأ إلى المسدس، والذي هو رمز للقوة والكفاح ولكن لن يصبح ذا قيمة إيجابية إلا إذا ترافق مع الكتاب والذي هو رمز العلم والمعرفة (الشطى، ٢٠٠٤: ٢٩١). في نهاية القصة وعندما ألفت

الشرطة القبض على سعيد بين المقابر، يسود حينها الظلام والذي هو رمز لليأس المطلق والظلمة الناشئة عن العنف. العنف الذي قتل بسببه أمثال سعيد مهراڻ وأطلق سراح آخرين أمثال رؤوف علوان. رواية «اللسّ والكلاب» هي قصة الحزن والفرح، اليأس والأمل، الهجوم والهروب، ولكن جوهر كل هذه المشاعر هو المجتمع و شعبه. قلّما نقرأ موضوعا ولا نرى فيه تأثيراً من آلام الناس والجوّ السائد على المجتمع.

في هذه الرواية يمكن لنا أن نشاهد عمق واتساع رؤية نجيب محفوظ حيال القضايا الاجتماعية والسياسية، وهو في هذه الرواية قد صوّر للقارئ زوايا المجتمع الظاهرة والكامنة وبيئته واستخدم الرموز والعلامات الشخصية للتعبير عن أفكاره وعواطفه. في رواية «اللسّ والكلاب» - اللصّ سعيد مهراڻ والذي خرج من السجن بعد أربع سنوات يصور نجيب محفوظ لحظة مغادرته بهذه الكلمات: مرّة أخرى يتنفس سعيد مهراڻ نسمة الحرية، ولكن الجو عابق وحرّ لا يطاق خارج السجن، وفي انتظاره وجد بدلته الزرقاء وحذاءه المطاط، وسواهما لم يجد في انتظاره أحداً. واعتزم الآن الوقوف ضد الجميع (محمفوظ، ١٩٧٣: ٧).

سعى چوبك في «تنگسير» وبوضوح لإضفاء الروح الأسطورية والرمزية لرجل من تنگستان. فالصورة التي قدمها من بداية القصة لشخصيّة زار محمد، هي صورة أسطورية. يعود محمد من بوشهر إلى «دواس» حتى لجم ثور سكينه الذي قد توحّش. وصل إلى واحة النخيل وقيد الثور البري بمهارة عظيمة. في هذا الوقت، تذكّر الأربعة أشخاص الذين أخذون المال من حوزته وتبادر لذهنه التفكير في الانتقام مرة أخرى. خاطب الثور قائلاً: «أنا أيضا في النهاية سأصبح متمرداً مثلك وأتوجّه إلى الصحراء لكن تمردى من نوع آخر، سأخذ مالى من حناجرهم حتى الدينار الأخير» (چوبك، ١٣٨٢: ٤٤). يستخدم الكاتب كلمة المتمرد بالنسبة لمحمد. فهو مصطلح يشير دائما إلى الشخص الذي يتمرد ضد الحكومة المركزية أو وكلاء الماجستير أو الخان. صور چوبك زار محمد في شخصيتين، الشخصية المتمردة، والمصلحة. فالمشهد الذي روّض فيه زار محمد الثور المتوحّش هو في الواقع رمز لترويض الجامحين مجتمعيا بيده وإعطاه شخصية على أساس محوريي القانون ومصلحا اجتماعيّا.

ويرى المؤلف: أنّ چويك ومحفوظ وهما في الواقع، كانا من المثقفين والنقاد الاجتماعيين؛ توجّها إلى كتابة الروايات للتعبير عن آرائهم في السياسة والقضايا الثقافية الأخرى. الواقع أنهما قد كانا قادة فكر الحداثة في المجتمعين المصري والإيراني. لهذا السبب فإن القضايا التي أثّرت في آثارهما بشكل رئيسي هي القضايا الاجتماعية وتمزّق العلاقات الاجتماعية وقضايا الحداثة، وفضح فساد الحكّام، والفساد السياسي والإداري والعنف تجاه طبقة الشعب الدنيا من أهمّ القضايا الاجتماعية والتي أثّرت في هذه القصص.

نتيجة البحث

يمكن أن يستنتج وبناء على ما سبق أنّ روايتنا «تنگسير» و «اللص والكلاب» هما من الروايات الاجتماعية، والتي استخدم كاتبها كلا الروايتين أساليب الواقعية والطبيعية واشتركا تماما في إظهار المشاكل و القضايا في فترتيهما التاريخية. والتأكيد على النضال الفردي والعدالة الشخصية في كلا الروايتين، كما أن النساء تلعب دوراً بارزاً نسبياً. والرمزية أداة استخدمها كلا الكاتبين في هاتين القصتين. الثروة والقوة والخداع هي جميعها رموز قام بطلا الروايتين بمكافحتها.

من جهة أخرى تصوّر الخصائص السطحية، والتعبير عن الروح والعالم الداخلي للشخصيات البطولية، وأيضاً التعبير الصريح والواضح عن الظروف الاجتماعية هي نقاط مشتركة أخرى، يمكن رؤيتها بوضوح في كلا الأثرين. على الرغم من أنّ هناك اختلافات في التقنية، واللغة ونمط الرواية لهاتين القصتين لكن وفقاً لتشابههما يمكن أن نعتبرهما أثريين مماثلين تماما من حيث المحتوى والرسالة. أي النضال الفردي ضدّ الجور والظلم رغم صمت الحكومة وقمع الحركات الشعبية من أجل العدالة.

المصادر والمراجع

الفارسية

- انوری، حسن. ۱۳۸۲ش، فرهنگ فشرده سخن، جلد دوم، چاپ چهارم، تهران: سخن.
پاینده، حسین. ۱۳۸۹ش، داستان کوتاه در ایران، جلد اول، تهران: نیلوفر.
چوبک، صادق. ۱۳۸۲ش، تنگسیر، تهران: نگاه.
چوبک، صادق. ۱۳۵۲ش، سنگ صبور، تهران: جاویدان.
دهباشی، علی. ۱۳۸۰ش، یاد صادق چوبک، تهران: نشر ثالث.
عبادیان، محمود. ۱۳۷۱، درآمدی بر ادبیات معاصر ایران، تهران: گوهر نشر.
عسگری، عسگر. ۱۳۸۷ش، نقد اجتماعی رمان معاصر فارسی، تهران: شمشاد.
لیلیان، پیتر اسکرین. ۱۳۷۶ش، ناتورالیسم، ترجمة حسن افشار، تهران: مرکز.
محموظ، نجیب. ۱۳۹۰م، دزد و سگ‌ها، ترجمة محبوبه بادرستانی، تهران: علم و دانش.
میر عابدینی، حسن. ۱۳۷۴ش، صد سال داستان‌نویسی ایران، جلد دوم، تهران: تندر.

العربية

- حسن، ديب على. ۱۹۹۷م، نجیب محفوظ بين الالحاد والایمان، بيروت: دار المنارة.
حسنین، عادل. ۲۰۰۷م، نجیب محفوظ الحائز على جائزة نوبل في الأدب، لا نا.
الشطی، سليمان. ۲۰۰۴م، الرمز والرمزية في أدب نجیب محفوظ، لا نا.
عطية، احمد محمد. ۱۹۷۷م، مع نجیب محفوظ، بيروت: دارالجيل.
محموظ، نجیب. ۲۰۰۶م، أتحدث اليكم، بيروت: دارالعودة.
محموظ، نجیب. ۱۹۷۳م، اللص والكلاب، بيروت: دارالقلم.

المقالات

- بشیری، اکبر. ۱۳۸۷ش، «نجیب محفوظ؛ وقفات في حياته و ادبه»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد الإسلامية في جيرفت، السنة ۱، العدد ۱: صص ۳۷-۴۸.
رادفر، ابوالقاسم. ۱۳۸۵ش، «بررسی و تحلیل روش‌های کاربردى کتب ادبی ناتورالیسم و رئالیسم در خلق آثار ادبی»، مجله زبان و ادبیات دانشگاه سمنان، ش ۱۶.
فخری، لیدا. ۱۳۸۰ش، «رئالیسم و ناتورالیسم و مکتب‌های ادبی»، نشریه ابرار، ش ۲۸.